

المصطلح السردى بين المنظور البنيوي واختيارات "جيرار جينيت"

دراسة مقارنة في المفاهيم والمكونات والوظائف

## The Narrative Term between Structuralism and Gerard Genet's Choices

A comparative study of concepts, components, and functions

مداني أحمد<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة حسنية بن بوعلي الشلف الجزائر [madaniprof@hotmail.fr](mailto:madaniprof@hotmail.fr)

تاريخ الاستلام: 2021/05/17 تاريخ القبول: 2021/08/31 تاريخ النشر: 2021/12/23

### ملخص:

يتحدد موضوع هذا البحث في دراسة المصطلح السردى ودلالاته في الخطاب الروائي، من وجهة نظر المقولات والمصطلحات النقدية في المنهج البنيوي، ومن منظور الناقد جيرار جينيت "Gérard Genette"، الذي أسهم باجتهاداته الإبداعية، حتى تحولت تلك الاجتهادات إلى اختيارات نقدية خاصة به، وقد تمظهرت هذه الاختيارات في ما قام به من تحليل للمبنى الحكائي للقصة أو الرواية، حيث ذلل الصعاب التي تواجه الباحث في سبيل الوصول إلى تحليل موضوعي، يقوم على علمنة النص واستنطاق الأنساق الداخلية للنص، بعيداً عن الدراسات السياقية القائمة على الانطبعية والذاتية في إصدار الأحكام النقدية على النص السردى، وبهذه النقلة النقدية الحداثية للمفاهيم السردية، صارت أعماله تتبوأ مكانة سامقة في ميدان تحليل الخطاب السردى المعاصر، بفضل استثماره للمصطلحات السردية في النقد البنيوي، وإعطائها دلالة أعمق مما كانت عليه، ومن تلك المصطلحات مصطلح الخطاب والقصة، والمفارقات

الزمنية، ومصطلح المدة والصيغة، وغيرها، وبهذا كانت ولا تزال مقولاته حول مفاهيم ووظائف المصطلح السردية، طريقة تتخذ من بين طرائق التحليل السردية.

**كلمات مفتاحية:** المصطلح السردية، المنهج البنوي، جيرار جينيت، مفاهيم، المتن الحكائي، المبنى الحكائي، زمن الخطاب.

#### **Abstract:**

The topic of this research is determined in the study of the narrative term and its connotations in fictional discourse, from the point of view of the sayings and critical terms in the structural approach, and from the perspective of the critic "Gérard Genette", who contributed his creative endeavors, until those interpretations turned into his own critical choices. These choices were made in his analysis of the narrative body of the story or the novel, where he reduced the difficulties facing the researcher in order to reach an objective analysis based on secularization of the text and interrogating the internal systems of the text, away from contextual studies based on impressionism and subjectivity in issuing critical judgments on the text. The narrative, and with this modernist critical shift of narrative concepts, his work has come to occupy a high position in the field of contemporary narrative discourse analysis, thanks to his investment of narrative terms in structural criticism, giving them a deeper connotation than they used to be. And others, and thus his statements about the concepts and functions of the narrative term were still one of the methods of narrative analysis being challenged.

**Keywords:** Narrative term, structuralist approach, Gérard Genette, concepts, story building, storytelling body, speech time.

#### **مقدمة:**

بعد المصطلح السردية من أكثر المصطلحات إثارة للجدل، نظراً لكثرة الاختلافات التي حاولت تحديد نشأته ومفهومه ومجالاته، ومن مظاهر هذا الاختلاف، تطور دلالة كلمة "السرد"، حيث نجد أصل مفهوم السرد في اللسان العربي هو تتابع الأحداث على وتيرة واحدة، ومن ثم فقد كان يعتم مفاهيم أخرى مثل سرد الحديث والقراءة، ثم صار يطلق في النقد الحديثي على النص الحكائي خاصة، ومن هذا المنظور

الحداثي فالسرد ما هو إلا الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص، أو حتى المبدع الشعبي ليقدم الحدث إلى المتلقي، فكأن السرد نسيج الكلام ولكن في صورة الحكى، ولقد تطور هذا المفهوم مع الكتابات النثرية الجديدة مدعوما بطروح النقد الحداثي، فكانت القصة أقرب الأجناس الأدبية لتمثل هذه التقنية، خاصة مع تغيير نظرة كتابها في التعامل مع اللغة و الحدث وفضاء الحكى". (سالم، 2009، صفحة 79)

على ضوء هذه المفاهيم الحداثية للسرد، لاسيما رؤية المنهج البنيوي لها، انبثقت أفكار واجتهادات "جيرار جينيت" **"Gérard Genette"**، فكانت فيصلاً بينا ساهم في تطوير المصطلح السردى، شأنها شأن إسهامات "تودورف" **"Todorov"** وجون بويون **"J. Pouillon"**، و "رولان بارت" **"R. Barthes"** وغيرهم من النقاد الغربيين الذين تبنا البنية منهجاً.

استناداً لهذا السياق، يمكن أن يسأل الباحث نفسه، طارحاً الإشكال الآتي/ ما هي مفاهيم ودلالات المصطلح السردى من منظور المنهج البنيوي واختبارات "جيرار جينيت"؟ وما هي المفارقات الدلالية لهذا النوع من المصطلح عنده وعند غيره من البنيويين؟

لعلّ هذا الإشكال يمكن أن يعرفنا على التفكير النقدي تجاه السرد عند جيرار جينيت ضمن دائرة البنية، من خلال بعض المفاهيم والوظائف التي ستتجلى في المباحث اللاحقة من هذا البحث.

## 1- مفاهيم المصطلح السردى عند جيرار جينيت:

يعد الناقد البنيوي "جيرار جينيت" **"Gérard Genette"** من ألمع الباحثين المتميزين الذي طَعَمُوا المصطلح السردى ، بمفاهيم ملفتة للنظر، وخير دليل على ذلك مؤلفاته القيّمة في هذا المجال، منها "خطاب الحكاية" و "مدخل لجمع النص" و "عودة إلى خطاب الحكاية"، وغيرها من الكتب التي صارت مآباً يؤوب إليه كل باحث في علم السرد، وما اكتسبت أعماله هذه الأهمية إلا بسبب، أنها تمثل المرتكزات الأساسية التي يتمحور حولها النقد الجديد الحداثي في مقارنة النصوص السردية. (عيلان، 2008، صفحة

(112)

وقد كان مصطلح السرد، قبل ظهور المنظور النسقي للنص على يد المنهج البنيوي، لاسيما عند "جينيت" وغيره من البنيويين، متجانفاً لتلك الرؤية الكلاسيكية التي لا تزيد أن تجعل مفهوم السرد، عبارة

عن سلسلة من المتتاليات النصية التي تترى مترتبة في نسق واحد، ومن بين تلك المفاهيم الكلاسيكية أنه "متابعة الملام على الولاء والاستعجال به، وقد يراد به أيضا جودة السياق الحديث وكأنه من الأضداد" (الرافعي، 1994، صفحة 297)، وهناك من منحه مفهوم التابع لوقائع النص في الزمن الماضي، يقول عبد الملك مرتاض في ذلك، أن السرد هو "تتابع الماضي على وتيرة واحدة" (مرتاض، 1993، صفحة 83) وبشيء من الاستقرار نجد مفهوم السرد يأخذ سمات الوظيفة السردية، وهذا المفهوم أخذ حظاً وافراً عند بعض النقاد الحداثيين، منهم شلوميت "ريمون كنعان" **Shlomith Raymond Kanan** حيث ترى أن السرد الأدبي، عملية يستطيع الشخص من خلالها أن يتواصل مع غيره، ضمن إطار القصص، وفي ذلك تقول: "الحكي مثل، رسالة يرسلها الشخص إلى غيره، فيكون عندها المرسل هو السارد، والمرسل إليه هو المسرود عليه، والسرد هو الرسالة أو اللغة أو الطبيعة اللفظية التي من خلالها تتمثل هذه الرسالة (حمامة، 1995، صفحة 11)؛ والوظيفة نفسها تَبَّه إليها بعض النقاد العرب المعاصرين قائلا: عن السرد أنه "كتابة عن مجموع الكلام الذي يؤلف نصاً، يتيح للكاتب أن يتصل بالقارئ" (بوقرة، 2009، صفحة 107) ومن النقاد الغربيين أيضا من نظر إلى وظيفة السرد، بأنها إلى وسيلة لنقل الأفكار بين أفراد المجتمع اللساني الواحد، يقول بول ريكور: "السرد بوسائطه وأنواعه المتعددة، هو إحدى طرائق نقل الأفكار والقيم، ووسيلة من وسائل دوراتها فيما بين أفراد المجموعات الثقافية واللغوية الواحدة، وفيما بينهم وبين غيرهم، وأداة من أدوات صنع الوعي العام". (الغنامي، 1999، صفحة 31)

يتبين من هذه المفاهيم أن السرد - عند هؤلاء النقاد - ما هو إلا عملية تواصل، أو طريقة لنقل الكلام، ومضمون تلك العملية التواصلية، يراد بها القصة بين الراوي **"Narrateur"** والمروي له **"Narrataire"**.

بعد عرض هذه المفاهيم ذات التوجه البنيوي حول السرد عموماً، ينبغي أن نلقي بإشكال مهم للغاية، وعلى الصيغة الآتية: ما هي مفاهيمه ووظائفه عند "جيرار جينيت"؟

الحديث عن المصطلح السردى عند "جينيت" "ينطلق من رؤيته البنيوية في كيفية تحليل الرواية أو القصة، حيث إنه تبنى التفصيل الذي قام به البنيويون في التفريق بين ما يسمونه المتن الحكائي والمبنى

الحكائي، إذ يجعلون المبنى الحكائي كنفيز للمتن الحكائي بمجموعة الوقائع والمواقف المسرودة، حسب ترتيبها أو سياقها الزمني أو الكرونولوجي لمادة الحكائي الأساسية كنفيز للعقدة، وفقاً لمصطلح الشكلايين الروس " (برنس، 2003، صفحة 83) أما المبنى الحكائي، فيُمثل الخطاب والطريقة التي تحكى بها القصة، فإذا قرأ قارئ ما قصة ما، يدرك أنَّ أحداثها من بدايتها إلى نهايتها منتظمة في نظام وحدات سردية حاضعة لمنطق زمني، لكن هذه القصة "يمكن أن تنقل بطرق متعددة، ما يَهْمُ في الخطاب ليس الأحداث، إنما الطريقة التي يروي بها السارد القصة، وبعض الباحثين يستعملون مفهوم السرد، "Narration" بدل الخطاب "Discours". (بوعزة، تحليل النص السردى، ط1، 2001، صفحة 71)

لاشك أن هذا التقسيم، مرَّده إلى أنه متأثر بما قام الشكلايون الروس في دراسة الأجناس السردية، فقد وضعوا القصة بمثابة المادة الحكائية والبناء القصصي، فالمادة الحكائية عند "إيخنباوم" (Eikhenbaum) هي عبارة عن المادة الأولية المكونة من الأحداث التي تستخدم لتشكيل بناء القصة، والمادة الحكائية عند "توماتسفسكي" (Tomashevsky) هي مجموعة الأحداث المترابطة بعضها ببعض، وهي التي تسلق إلينا خلال الثر القصصي، ويمكن أن تعرض هذه الأحداث بحسب هذا الشكلايين عرضاً يناسب نظامها الطَّبِيعِي، أي نظامها الزمني القائم على التتابع، ونظامي السَّبِي دون اعتبار الطريقة التي بها أدرجت هذه الأحداث في القصة ونسقت". (المؤلفين، 2010، صفحة 336) وبهذا التقسيم الثنائي، صار من مقتضيات الحكائي، أن كل "حكائي يتم من خلال مكونين مركزيين، القصة والخطاب، إن القصة هي المادة الحكائية والخطاب هو طريقة الحكائي" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 50) وهذان المكونان أنتجا عند البنيويين ما يسمى سرديات القصة وسرديات الخطاب، وعلى ضوء هذه المفاهيم البنيوية للسرد فإن "جينيت" يتبنى هذا التقسيم الثنائي المتمثل في مصطلح "القصة" و "الخطاب"، لكنه ركَّز على الجانب الثاني وهو "الخطاب"، باعتباره يحيل إلى نوع من السرديات وهو سرديات الخطاب، ولأنه يميز حكاية عن أخرى، حيث إن الخطاب يمثل عنده "الطريقة التي تقدم بها كل مادة حكاية، فقد تشابه المواد الحكائية، لكن شكل تقديمها يختلف باختلاف الحكاية وأنواعها". (شرشار، 2009، صفحة 146)

لكن الباحث المتمعن في منظور "جينيت" إلى مصطلح السرد على أنه ذو جانبين هما القصة والخطاب، يجده ينتقل بالخطاب إلى مفهوم آخر ووظيفة أخرى، وهو أنه أعطى الخطاب مفهوماً دلاليًا، حيث صار النص الحكائي يحيل على مستوى دلالي، وربما هذا المفهوم مستوحى من منظور "تودورف" "Todorov" نحو المستوى الدلالي، إذ يقول: "إننا نجيب فيه عن الأسئلة، هل يدلّ النص على شيء؟ وعلى ماذا يدل؟". (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 52)

من هنا، فإنّ "جينيت" يعطي لمستوى الخطاب بعداً أو مستوى دلاليًا ثانياً، وهذا البعد يلّمسه الباحث عندما يتأمل المفاهيم التي يرمي إليها "جينيت" حين يتحدث عن الحكاية أو الخطاب، وقد تفتن ناقد مثل سعيد يقطين إلى هذا المفهوم الدقيق للخطاب عند "جينيت"، بل تبنى هذا المفهوم ورأى فيه دلالة ظنية ذات أوجه، يقول: "بإدخالي النص كمفهوم متميز عن الخطاب، وإعطائه بُعد المستوى الدلالي، و"جينيت" أعطى النص دلالات خاصة، عكس ما نجد مع السريين الذين يعتبرونه مرادفاً للخطاب، لذلك فـ "جينيت"، وهو يتحدث عن الخطاب السري أو النص السري، نجده يحملهما بنفس الدلالة، وعلى اعتبار النص مفهوماً مختلفاً عن الخطاب، فإنّ مكوناته الخاصة به -والتي لضمان الانسجام- لا يمكن إلا أن تكون توسيعاً لمكونات الخطاب". (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 53)

انطلاقاً من تصوّر "جينيت" الذي فرق بين القصة أو الحكّي "Récit" والخطاب الذي يعني عنده حقيقة السرد "Narration"، فإن الحكّي لا يمثل التلفظ السري، والبعد الدلالي للخطاب، ولهذا "فجينيت" يركز على الملفوظ ومضمونه في الخطاب أو السرد، ومن ثم فإنّ أي تحليل في نظره لا يقوم إلا على استعمال ثلاثة هي:

أ- القصة (Histoire): المدلول أو المضمون السري.

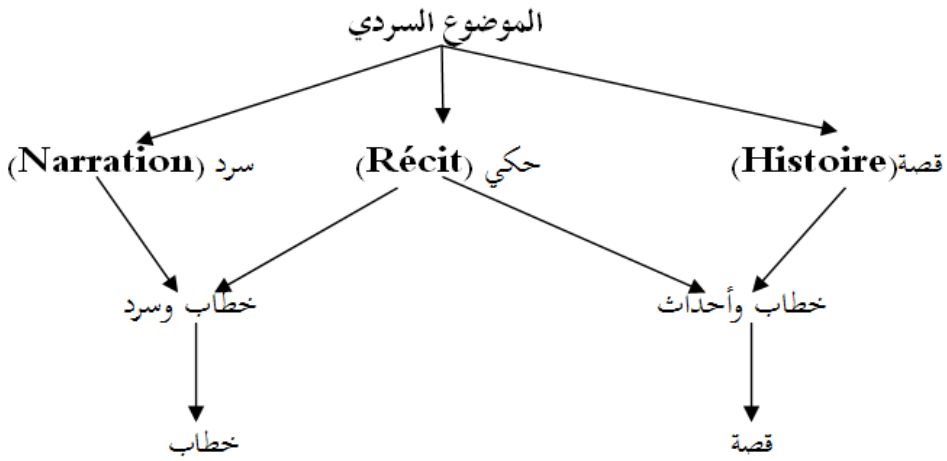
ب- الحكّي (Récit): الدال أو الملفوظ أو الخطاب أو النص السري ذاته.

ج- السرد (Narration): الفعل السري المنتج.

ومع أن "تودورف" يخالفه، حيث يرى أن "الحكّي، بمعنى الخطاب هو وحده الذي يمكننا دراسته وتحليله تحليلًا نصيًا" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 40) فلائ السرد والقصة ليس

بمقدور الباحث الفصل بينهما، وما يقال عنهما يقال عن الحكى (الخطاب) أيضاً، ويمكن التوفيق بينهما، بما ذهب إليه "سعيد يقطين"، حيث وافق "جينيت" على اعتماده الحكى (**Récit**) كمدلول أو محتوى حكائي، لكن هذا الحكى في التحليل السردى "يستطيع دراسة علاقته، الخطاب والأحداث التي يرويها أي (ب و أ)، والخطاب والسرد أي (ب و ج). (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، صفحة 74)

إن هذا التفاعل الحادث بين الخطاب (الحكى) و القصة والسرد، من وجهة نظر "جينيت"، يساعد على تفعيل الموضوع السردى، بأن هذه العلاقات تفرز في نهاية المطاف خطاباً مع أحداث، أو خطاباً مع سرد، لذا لما كان الحكى يؤول إلى خطاب، ويكتسب صفة الدال، فإنه يمكن أن يأخذ مكانة مصطلح الخطاب، ولتبسيط عملية هذه العلاقات نقترح هذه الترسيمية :



من هذا المنطلق كان "جينيت" يركز على الخطاب، مستعملاً مصطلح الحكاية، قاصداً بها الخطاب السردى، وفي ذلك يقول: "إن دراستنا كما يدل عليها عنوانها أو يكاد، تنصب على الحكاية، بمعناها الأكثر شيوعاً، أي على الخطاب السردى الذي يبدو في الأدب، وخصوصاً في الحالة التي تلهمنا نصاً سردياً". (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، صفحة 38)

هذا نص صريح منه، على أنه يريد الخطاب السردى الذي يعتبره ميدان تحليل النصوص السردية، أما الحكى فيريد به المعنى المشترك الذي يكون بصفة عامة في الأدب، وفي كل الأجناس الأدبية، لذا فهم علماء السرد من قول "جينيت": "أن فعل الحكى عام، وهو يقبل التحقق بوسائط الإيماء أو الحركة أو الصوت أو الكتابة أو الصورة، وكل فعل الحكى من خلال هذه الوسائط مختلف عن غيره، أما السرد فهو خاص لأنه يتجلى بواسطة الصيغة "وهي المفهوم المركزي الذي استعمله "جينيت" للتمييز بين الأجناس". (يقطين، السرديات والتحليل السردى، الشكل والدلالة، ط1، 2012، الصفحات 53-54)

وبهذا فالسرد يختص بدراسة الخطاب القصصى الروائى، فيكون بذلك مجال اشتغال السرد، هو الخطاب السردى، الذي يفارق مفهوم القصة والحكى، فصارت العلاقة بين السرد والخطاب علاقة قوية متداخلة كأنما قُدت من حديد، وبهذه العلاقة أصبح السرد هو الهدف الذي يقصده السارد في الخطاب السردى، ومن هذه المعطيات يمكن القول "إن تصوّر "جينيت" يستند إلى رؤية علمية للسرد، ولقد نجح في مختلف كتاباته، إذ أقام السرديات على أرضية صلبة، ولذلك يعتبر عمله السردى إنجازاً هاماً في تاريخ النظرية الأدبية الحديثة في العصر الحديث عموماً، وفي النظرية السردية المعاصرة بكيفية خاصة، وما كان للسرديات أن تتأسس مع "جيرار جينيت" لولا انطلاقه من خلفية محدّدة، واطلاعه على كل الأدبيات السردية السابقة عليه، وتمثله إياها بشكل نقدي دقيق، ورغبته في بناء تصور نظري وعلمي لتحليل السرد، يستلهم تلك الإنجازات ويطورها من خلال رؤية مفتوحة على آفاق غير محدودة. (يقطين، السرديات والتحليل السردى، الشكل والدلالة، ط1، 2012، صفحة 60)

إن هذا القول، لشهادة نقدية "لجينيت" بعلو كعبه في مجال السرديات، الشيء الذي يجعل الباحث يتبنى تعريف "جينيت" للسرد، حين يحدده بقوله: "السرد كعرض لحدث أو لمتوالية من الأحداث، حقيقية أو خيالية، عرض بواسطة اللغة، وبصفة خاصة بواسطة لغة مكتوبة." (بوحمالة، 1992، صفحة 71) وإذا قُورن هذا المفهوم بمفاهيم أخرى للسرد، ففإننا نجد من يعطى له مفهوماً مقارباً لهذا التعريف، و يمنحه صيغة لسانية لغوية إذ "هو طريقة لسانية يمكن أن تتجسد في أي نظام لساني، وتختلف تجلياتها باختلاف النظام الذي استعمل فيه". (الكردى، السرد في الرواية العربية المعاصرة، صفحة 21)

ومن ثمَّ فإنَّ للسرد لدى "جينيت" مفاهيم ووظائف، لم يعهدها السرديون من قبل، حيث وجدوا أنفسهم أمام تقسيمات وتفريعات جديدة لمصطلح السرد، بل إنَّ السرد صار له مستويات مقارنة في التحليل، شأنه شأن مستويات التحليل اللساني في الجانب اللغوي، وتلك المستويات يمكن إبرازها على النحو الآتي:

## 2- مستويات السرد عند جيرار جينيت:

هذا التقسيم لمستويات السرد، نجده في كتابيه: "خطاب الحكاية" و "عودة إلى خطاب الحكاية"، مفصلاً في ثلاثة مفاهيم:

### 2-1- السرد من حيث حكاية (Récit):

هذا المعنى هو الأكثر بدهية ومركزية حالياً في الاستعمال الشائع، وهو يدل على المنطوق السردى، أي الخطاب الشفهي أو المكتوب، وهو يتولى إخبارنا بما حدث أو بسلسلة من الأحداث. (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، الصفحات 37-38)

### 2-2- السرد من حيث هو مضمون أو محتوى حكاية ما:

و يدل على "سلسلة من الأحداث، الحقيقية أو التخيلية التي تشكل موضوع الخطاب ومختلف علاقاته، وهو "يعنى بدراسة مجموعة الأعمال والأوضاع المتناولة في حد ذاتها". (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، الصفحات 38-39)

### 2-3- السرد من حيث هو فعل (Acte):

هذا المفهوم هو الأكثر أهمية عند "جينيت" إذ يدلّ على الحدث، غير أنَّه ليس الحدث الذي يُروى أو يُسرد، بل هو الحدث الذي يقوم على أنّ شخصاً ما، يروي شيئاً ما أنه فعل السرد (Acte narrating)، متناولا في حد ذاته (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، الصفحات 39-40) وبشيء من التفحص، يمكن القول إن "جينيت" وضع للتحليل السردى ثلاثة مفاهيم لمستوياته هي مستوى المنطوق ثم مستوى المضمون ثم مستوى الفعل، إلا أن "جينيت" يهتم بالمفهوم والمستوى الثالث، ويعطيه مصطلح "Narrating"، ويعني به الفعل السردى الذي يضطلع به السارد، فلا مضمون

سردي دون فعل السرد، وهذا المصطلح يؤدي وظيفة الفعل الواقعي أو الخيالي الذي ينتج الخطاب، وبهذا فإنه يدل على الوضع الذي ينطق به سارد القصة. (جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، 2000، الصفحات 13-15)

لكن هذا المفهوم للسرد، يتباين مع مفاهيم ووظائف نَبَّه عليها علماء السرد الآخرون، أمثال (Gérard Genette) وسيمون شاتمان (Simon Chatman) وفق هذا الجدول الذي يبين الفروق بينها:

| جيرار جينيت<br>(G. Genette)                                                                         | جيرالد برنس (G. Genette)                                                                                                                          | سيمون شاتمان<br>(S. Chatman)                                                                                                             |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 1- الفعل الذي ينتجه السارد.<br>2- موقع السارد من الأحداث.<br>3- معناه (الفعل السردى)<br>(Narrating) | 1- وجود أو موقع السارد من سرده.<br>2- سرد الأحداث التي أخذ السارد دوره فيها سواء شارك فيها أم لم يشارك.<br>3- معناه (فعالية السرد)<br>(Narrating) | 1- الكلام والأفعال التي نخبرنا بها السارد عن شخصية القصة.<br>2- يقابل صوت الصارد الصريح في السرد.<br>3- معناه (فعل السرد)<br>(Narration) |

إذا ما أجريت مقارنة بين هذه المفاهيم، يتضح أن مفهوم مصطلح (Narrating) ضيق من حيث الدلالة عند الناقد "جيرار جينيت"، لأنه يقتصر على المقام والصيغة والصرف، وكذلك الحال نفسه بالنسبة "السيمون شاتمان"، بينما عند الناقد "جيرالبرنس"، فنجدته أوسع، لأنه يشمل -إضافة إلى المفاهيم السابقة - مفهوم السارد والمسرد له، والأحداث والشخصيات والمكان...

وهكذا فإن رأي "جينيت" يتلخص في أنّ الحكاية عنده خطاب سرديّ، يمكن عدها عصب السرد، فهي ثابتة وأساسية وعليها مدار السرد، وبتناقضها ينتفي السرد. (يقطين، الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، 1997، صفحة 219)

وعموماً فالسرد عند "جينيت" قائم على حكاية (خطاب سردي)، حقيقية أو خيالية، أعيد إنتاجها بطابع خيالي أو حقيقي في نموذج لفظي، يندرج تحت أنواع أدبية، ويفترض في التاريخ والسيرة والسّير الذاتية أن يعيد خطابات ملقاة فعلاً ، ويفترض في الملحمة والرواية والأقصوصة أن تتظاهر بإعادة إنتاج خطابات مختلفة". (جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، 2000، صفحة 23)

## 2-4- دلالات مصطلح الحكاية (الخطاب السردى) عند جيرار جينيت:

يتحدث "جينيت" عن دلالة كلمة حكاية، ويجعلها تحتل دلالات أوسع مما اشتهر عند غيره من علماء السرد، إذ وضعها في موقع وظيفي يمكن أن نقول عنه أنه حتمال أوجه دلالية متعددة، بحسب استعمالها، وهي كالآتي:

**الأول:** الخطاب الشفوي أو المكتوب الذي يضطلع برواية حدث أو سلسلة من الأحداث.

**الثاني:** وهو أقل انتشاراً، ويمثل سلسلة الأحداث الحقيقية أو التخيلية، بغض النظر عن الوسيط اللساني.

**الثالث:** يدل على حدث إلا أنه ليس حدثاً يروى، بل هو الحدث الذي يقوم على أنّ شخصاً ما يروي شيئاً، إنه فعل السرد متناولاً بوصفه غاية. (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، صفحة 37)

أهم دلالة من هذه الدلالات، هي دلالة المفهوم الثالث، وذلك أنه يدل على الخطاب المنطوق من الجهة التركيبية والدلالية، فهي تطلعنا على الأحداث التي ترويها من خلال السرد الذي أنتجها، وهي معرفة لا يمكن أن تكون معرفة غير مباشرة من خلال وسيط، وهو الخطاب الذي يحمل علامات أو قرائن تدل على أسبقية العمل المروي على العمل السردى. (جينيت، خطاب الحكاية، 1997، صفحة 40)

محمل القول حول مصطلح السرد عند "جيرار جينيت" هو أنه يرى أن الحكى الذي هو عنده بمعنى الخطاب هو وحده الذي يمكننا دراسته وتحليله تحليللاً نصياً، إن القصة والسرد لا يمكن أن يوجد إلا في إطار العلاقة مع الحكى أو الخطاب السردى (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 40)، كما أن القصة التي هي عبارة عن مادة حكاية ليس لها بالغ الأهمية، إذا ما تم عزلها عن بنية الخطاب الروائي،

وأن الخطاب الروائي ليس في نهاية الأمر، سوى الطريقة التي يتم بها عرض المادة الحكائية، كما هو عند الشكلايين الروس.

### 3- مصطلحات دراسة السارد من منظور "جيرار جينيت":

على الرغم من أن "جيرار جينيت"، يتبنى المنهج البنيوي في التحليل السردى، إلا أنه خالف البنيويين في صوغ مصطلحات جديدة، ومن بين تلك المصطلحات التي انحاز بها عن غيره، هو مصطلح "التبئير" الذي رأى أنه يمكن أن يعوّض مصطلح زاوية الرؤية عند "واين بوت" "Wayne Booth" عندما سمّاها بعد ذلك "وجهة النظر" وعند "جون بويون" "Jean Bouillon" الذي سمّاها الرؤية (Vision)، ووافق على ذلك تودورف.

إن "جيرار جينيت" يرى أن مصطلح التبئير هو الأجدى، لأنه رآه أكثر تحديثاً وتداولاً بين النقاد اليوم، لذا يحدّده بالمفهوم الآتي قائلا: "هو تحديد زاوية الرؤية ضمن مصدر محدّد، وهذا المصدر إمّا أن يكون شخصياً من شخصيات الرواية أو راوياً مفترضاً لا علاقة له بالأحداث". (المداني، 2000، صفحة 46)

لكن من المعلوم بالضرورة، أن "جيرار جينيت" لم يتدع هذا المصطلح لأول مرة، بل إنه ما زاد على أن غيّر في اللفظ، وعليه هل أعطى له مفهوماً آخر، ينأى عن المفاهيم التي عهدها علماء السرد قبله؟ من الواضح أنه متأثر بهم، لاسيما الذين سبق ذكرهم في البحث، وفي مقدمتهم "تودورف" الذي يفضل مصطلح رؤية (Vision)، "وعلى الأخص "واين بوت"، الذي يحدّد مفهومها قائلا: "هذه التقنية هي التي تبين الكيفية التي يتم من خلالها إدراك القصة من قبل السارد" (تودورف ت.، 1992، صفحة 40)

وبناءً على هذا المفهوم الذي يضع الرؤية أو زاوية الرؤية عند الراوي، مخصصة بكيفية وطريقة حكي القصة المتخيلة، فقد قسم "جيرار جينيت" - متأثراً بمفاهيم غيره - التبئير إلى ثلاثة أقسام:

### 3-1 : التبئير الصفر (Focalisation zéro):

ويعبر عنه بالسارد كلي المعرفة، حيث إن الراوي لا يبث حكيه، ولا يأخذ فيه بزاوية رؤية محدّدة، فيكون في روايته كليّ الحضور، وله حرية واسعة في تناول الأحداث والشخصيات، حيث لا يعترضه أي حاجز في رؤية الوقائع وخلفياتها، كما أنه يعرف فيها كل شيء عن الشخصيات، وما يتعلق بمضمون الأحداث لأنه المتحكم في القصة كلها.

ومن هنا يكون التبئير غائباً أو منعدماً (صفر)، والراوي في هذه الرؤية لا يتموقع خلف شخصياته، ولكنه فوقهم كإله دائم الحضور. (الحمداي، 2000، صفحة 46) وهذا التبئير يعرف عند "بويون" بمصطلح الرؤية من الخلف وعند "تودورف" مفهوم السارد < من الشخصية.

### 3-2: التبئير الداخلي (Focalisation interne):

تكون الرؤية في هذا القسم مقتصرة على شخصيات معينة، أي تعبر عن وجهة نظر شخصية فردية ثابتة أو متحركة، "وتكون معرفة الراوي على قدر معرفة الشخصية الحكائية، فلا يقدم لنا أيّ معلومات أو تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها قد توصّلت إليها" (الحمداي، 2000، صفحة 47)، وهذا المصطلح يقابل مصطلح "الرؤية مع" (**Vision avec**) عند "بويون"، وأما عند "تودورف" فيقابل مصطلح "السارد = الشخصية".

### 3-3: التبئير الخارجي (focalisation externe):

وفيه لا يمكن للراوي أن يعرف إلا ما تعرفه الشخصية، لذا يلجأ إلى الوصف الخارجي، وصف الحركة والأصوات فقط، أو بعبارة أدق "هو الذي لا يكون فيه التعرف على دواخل الشخصية" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 297) وهذا القسم هو ما سمّاه "بويون" (**pouillon**) "الرؤية من الخارج" وما دعاه "تودورف" "بالسارد > من الشخصية"، وبعد أن اتضح مصطلح الرؤية، عند "جينيت" و "تودورف" و "بويون"، يعنّ للباحث إشكال، وهو لماذا أفضى "جينيت" مصطلحات هذين العالمين، وعوضها بمصطلح "التبئير"؟

لعلّ ما دفعه إلى ذلك هو نظريته الحداثيّة إلى هذا المصطلح "الذي هو أكثر تجريداً وأبعد إيجاء للجانب البصري الذي تتضمنه باقي المصطلحات" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة

(297) إضافة إلى هذا، فإن "جينيت" عندما يرفض مصطلح "وجهة النظر" التي قال بها "بوث" ويعتمد مصطلح "التبئير" لأنه "يرى أن مصطلح وجهة النظر، لا تميز بين الراوي وبين الشخصية التي تتم رؤية الأحداث من منظورها هي" (إبراهيم، 1998، صفحة 104)

#### 4- مصطلح الصيغة عند "جيرار جينيت":

يذهب "جينيت" إلى أن الخطاب السردي يتكون من ثلاثة مظاهر، هي:

الزمن (Temps).

الصيغة (Mode).

الرؤية أو الصوت (Vision). (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 52)

أما مظهر الزمن، فسرحته إلى المبحث اللاحق في هذا البحث، وأما الرؤية فقد سبق بسط الكلام عنها في مبحث "التبئير"، ومن ثم فقد بقي الحديث عن مظهر الصيغة؟ فما هي الصيغة عند "جيرار جينيت" وعند أقرانه من البنيويين؟

الصيغة في علم السرد، كما نص على ذلك "تودورف"، هي "الطريقة التي بواسطتها يقدم لنا الراوي القصة" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 194)، وهذا المفهوم للصيغة جعل منها ركناً أساسياً، لا غنى عنه في أي خطاب، مما جعل باحثاً مثل سعيد يقطين، لا يعتبرها من جملة المسافة أو المنظور، فالمنظورات والتبئيرات يمكن أن تناقش في مستوى آخر، إلى جانب الصوت، بسبب العلاقات الوطيدة بينهما، إننا فيما نسميه بالرؤية نحاول الإجابة عن السؤال، من أين يتكلم المتكلم؟ وفي الصوت نجيب عن السؤال، من يتكلم هنا؟ لذلك نرى أنهما مستويان متضافران، ونرى أيضاً بضرورة الفصل بينهما، وبين الصيغة التي نبحث فيها عن خطابات المتكلم؟" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 194)

وبما أن الصيغة مجالها يتمخض في البحث ضمن خطابات المتكلم، فهي مظهر من مظاهر السرد من الجانب اللساني بل هي مثله، حيث إنه لا يعدو أن يكون "هو طريقة لسانية يمكن أن تتجسد في أي

نظام لسانی. أو غير لسانی، وتختلف تجلیاتها باختلاف النظام الذي استعمل فيه" (الكردي، السرد في الرواية العربية المعاصرة ، صفحة 21)

ومن هذا المفهوم للصیغة، فإنها لا تختص بما عهده السرديون بأنها عنصر المنظور ومكوناته كالتبئير وأنواعه، وإنما الصیغة حكاية الأقوال والأفعال في هذا الخطاب، لذا فإن الخطاب يعالج انطلاقاً من جهة الصیغة، وبهذا فهي ترصد مختلف الصیغ الخطابية في القصة، وذلك من خلال حكي الأقوال، والمراد بحكي الأقوال ما تقوله الشخصيات في إطار عملية السرد.

وإذا كان التنوع حاصلًا في صیغ الخطاب، بين أقوال الشخصيات وأقوال السارد، فإنّ هذا التنوع يعود إلى نوعين هما السرد والعرض، الموجهان إلى المتلقي، فيصير نوع الصیغة مرتبطاً بالعلاقة القائمة بين السارد والخطاب، والسارد ونوع المتلقي من جهة أخرى، ومن هذا المفهوم المتعدد للصیغة، فإن حديث "جيرار جينيت" حول الصیغة يركز بنسبة كبيرة على مقولات السارد دون مقولات الشخصية، باعتبار أن السرد في الغالب عند علماء السرد "يختص فقط بتلخيص السارد لحركة الأحداث وأفعال الشخصيات، وأقوالها وأفكارها بلسانه هو" (الكردي، السرد في الرواية العربية المعاصرة ط1، 2006، صفحة 103)؛ وبهذا تصبح الأنواع الخطابية أو أنماط الصیغة متجهة إلى فاعلية السارد، وهذه الأنماط يمكن التماسها من تقسيم "جيرار جينيت" الذي صاغه بأسلوب مقارب، فسّمى الحكي (السرد) مكّي الأحداث (**Récit**) و**d'évènement**، وسمّى العرض حكي الأقوال (**Récit de paroles**)، فالحكي ينتج نوعين هما محكي الأقوال ومحكي الأفعال، وكلاهما يفرز صیغة، والصیغة بدورها ينتج عنها حكي سرد وعرض، والسرد والعرض يتعلقان بالضرورة بمتكلم، وهذا المتكلم إما أن يكون سارداً أو شخصية.

وهذا الإيجاز في موضوع الصیغة، يمكن أن يتوسع فيه بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

#### 4-1- صیغة الخطاب المسرود:

**ومفهومها** "أن يقوم الراوي بسرد أو وصف أشياء ضمن نسيج النص، ولا نهتم في هذه الصیغة بالزمن، وإنما بالراوي القائم بعملية السرد" (المالكي، 2006، صفحة 54) وفي هذا النوع من الصیغة تحمل الشخصيات ومقولاتها، ولا يهتم السارد إلا بسرد ما يريد من أفكار وأحداث، ومن ثم فالراوي يحمل

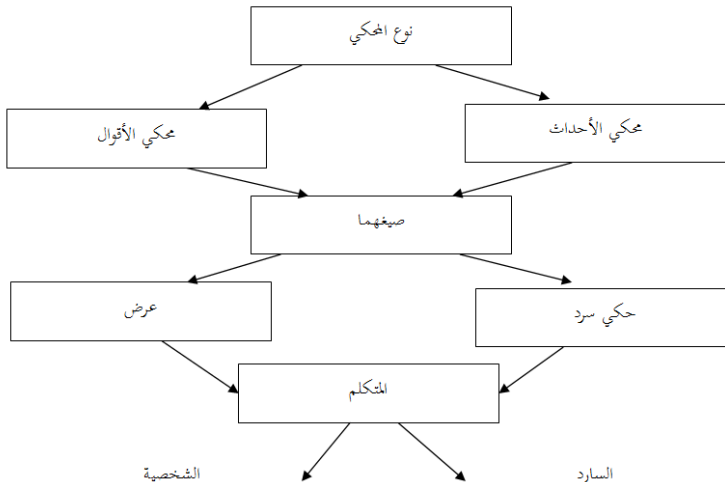
الفكرة ويستغني بذلك عن حوارات الشخصية" (بشار، 2003، صفحة 197)، كما أن الخطاب يكون في هذا النوع من الصيغة موجهاً إلى مروي له، سواءً أكان هذا المتلقي مباشراً شخصياً أو إلى المروي له في الخطاب الروائي بأكمله". (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 197)

كما أن هذا النوع من الصيغة يندرج تحت نوع آخر هو صيغة الخطاب المسرود الذاتي، أي أن السارد فيها يكون متكلماً عن ذاته، كما أنها "تظهر لنا في الخطاب الذي يبحث فيه المتكلم الآن عن ذاته وإليها، عن أشياء تمت في الماضي أي أنّ هناك مسافة بينه وبين ما يتحدث عنه، وهي التي تقابل عند "جيرار جينيت" مصطلح (Transposé) ويمكن أن ندخل فيها التذكر، وما يتصل بالاسترجاعات الماضية" (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 197)

#### 4-2- صيغة الخطاب المعروض:

عندما يكون الحديث عن صيغة الخطاب المعروض، فإنّ السرديات تتجه إلى ما اصطلح عليه بالعرض أو التمثيل (Représentation) الذي يقابل الحكّي السرد (Narration)، واستناداً إلى هذه المرجعية البنيوية "تكون صيغة الخطاب المعروض "لا تنقل خبراً حدثاً، وإنما تُجْري أمام أعيننا، مثلما يحدث في المسرحية، في صيغة العرض تتكلم الشخصية ولا يتكلم السارد، وليس في صيغة العرض حكّي، بل فقط كلام الشخصيات". (بوعزة، تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم، 2000، صفحة 110)

ولتبسيط هذه المفاهيم، يمكن وضع ترسيمة بيانية توضح تميّز الحكّي عن العرض، وتُحلّي بإيجاز مفهوم عملية الصيغ في التحليل النبوي للسرد.



خلاصة الحديث عن الصيغة، إنها تتطابق في مفاهيمها وأنواعها بين النظرة الشاملة للمنهج البنيوي، والنظرة الخاصة عند "جيرار جينيت" فلم يخرج فيها "جينيت" عن إطار المنظور البنيوي، وذلك باعتباره بنيوياً، إلا بعض المصطلحات التي انحاز بها عن المفاهيم المستعملة في التحليل البنيوي، مثل مصطلح "الخطاب المحوّل" (Transposé)، في معرض الحديث عن نوع الصيغة المتعارف عليه عند النقاد، بصيغة المسرود الذاتي.

### 5- زمن القصة وزمن الخطاب عند "جيرار جينيت" :

الزمن في العمل السردى عند "جيرار جينيت" يتأسس بداية من التفكير البنيوي عموماً، وعلى مرجعية الاتجاه الشكلياني تحديداً، ومع الكاتب الشكلياني "توماشفسكي" حين كتب عن نظرية الأجناس (تودورف، 1982، صفحة 175) وفي خضم ذلك أشار "توماشفسكي" إلى ما سماه بالمتن الحكائي والمبنى الحكائي، على أنّ الأول "بمجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل حسب النظام الطبيعي، بمعنى النظام الوقتي والسببي للأحداث" (تودورف، 1982، صفحة 180)، أما المبنى الحكائي "فيتألف من نفي الأحداث، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات" (تودورف، 1982، صفحة 180)

هذه الفكرة الشكليانية، أثرت في بحوث أخرى تبناها البنيويون منهم "بارت" و "تودورف" و "جينيت" خاصة، لكن من اهتم به أكثر هو "تودورف" حيث أحسن استغلال مفهوم المبنى الحكائي والمتن الحكائي في موضوع الزمن، فميّز بين زمن التخيل (القصة) وزمن الخطاب، وفرّق بينهما من حيث طبيعتهما، ومن ثم يرى "أن زمن الخطاب خطي، وزمن القصة متعدد الأبعاد، إنّ العديد من الأحداث في القصة يمكنها أن تجري في وقت واحد، لكن في الخطاب لا يمكنها أن تأتي مرتبة واحدة بعد الأخرى، وذلك بسبب الانحرافات الزمنية المتعددة التي تمدّنا بها عديد من الخطابات على المستوى الزمنيين، وهكذا نجد أشكالاً متعددة، بحسب علاقة زمن القصة وزمن الخطاب من خلال التضمن أو التسلسل أو التناوب". (يقطين، تحليل الخطاب الروائي، 2005، صفحة 73)

انطلق "جنيت" مما اصطالحوا عليه بزمن القصة وزمن الخطاب، فتناول الصلة الرابطة بين هذين النوعين من الزمن ، قائلاً : "بتلازمة النص السردى، لذا هو يذهب إلى أن زمن الحكاية زمن كاذب وزائف" (عيد، 2010، صفحة 155) وإنما وصفه بأنه زمن زائف لأن "الراوي يتفنن في سرد ما يحدث، يقدم ويؤخر فعلاً على فعل ، ويلعب وفق ما يراه مناسباً للمسار الذي يبنى ، ومن علاقة الزمنين تظهر أهمية الزمن السردى في منح السرد سماته الجمالية التي ينفرد بها عن باقي فنون اللغة". (على، 2007)

### خاتمة:

صفوة القول حول المصطلح السردى عند "جنيت"، أن اختياراته أعطت علم السرد مفاهيم في غاية الدقة التي تناسب نسق النص السردى، بحيث صارت يهتدي بها كل من يتجشّم طرائق التحليل السردى و استنطاق النصوص، ومما سبق يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

1. إسهامات " جنيت " الإبداعية جعلت ما يقوم به الباحثون في مجال من دراسات في علم السرد، لا يمكن أن يخلو من الاستناد إلى اجتهاداته، واختياراته المفاهيمية لمصطلح السرد.
2. اختيارات "جنيت" ليست نابعة من ذاتية المؤلف أو بكيونته التاريخية أو النفسية أو الاجتماعية ، وإنما نابعة من النسق اللغوى الداخلى ، مما يساهم في ظهور لغة أخرى تطفو على النص وهي لغة الإجراء و التحليل .
3. تصورات "جنيت" للمصطلح السردى، أفرزت نتائج، صارت دافعاً من الدوافع التي عجّلت بظهور تفكير نقدي معاصر، يقوم على الموضوعية في الطرح والعلمية في الإجراء، كما أنها أثرت المصطلحات السردية إثراء دلاليّاً، بحيث أصبحت تحتل كل ما يمكن أن يستنطق به النسق في النص السردى.
4. على الرغم من الخلاف المفاهيمي للمصطلحات السردية بين "جنيت" وغيره من البنيويين، إلا أن إبداعاته كان لها الفضل في البرهنة على نجاعة المنهج البنيوي في مجال التطبيق على

النصوص، ومن ثمّ فإن من يتبنى المناهج النسقية الأخرى لا يمكن أن يغفل ما طرحه "جينيت" من مفاهيم ووظائف حدثية للمصطلح السردى.

5. استعمل "جينيت" مفاهيم تنأى عن التنظير الصرف، وتقترب من التطبيق المحض الهادف مثل مصطلح التبئير و الصيغة وما يتعلق بالسارد والزمن، إذا منحها وظائف حدثية لم يسبق لأحد أن لفت الأنظار إليها.

#### الهوامش:

1. السيد إبراهيم. (1998). *نظرية الرواية*. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
2. بول ريكور تر سعيد الغنامي. (1999). *الوجود والزمان والسرد*. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
3. ترفيتان تودورف. (1992). *مقولات السرد الأدبي*. منشورات اتحاد كتاب العرب.
4. تودورف. (1982). *نظرية المنهج الشكلي* نصوص الشكلايين الروس تر إبراهيم الخطيب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
5. جيرار جينيت. (1997). *خطاب الحكاية*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
6. جيرار جينيت. (2000). *عودة إلى خطاب الحكاية*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
7. جيرار جينيت تر عيسى بوحالة. (1992). *طرائق تحليل السرد الأدبي*. الرباط: منشورات اتحاد كتاب المغرب.
8. جيرالد برنس. (2003). *المصطلح السردى*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
9. حميد الحمداي. (2000). *بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي*. الدار البيضاء المغرب: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
10. سعيد يقطين. (1997). *الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي*. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
11. سعيد يقطين. (2005). *تحليل الخطاب الروائي*. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
12. سعيد يقطين. (2012). *السرديات والتحليل السردى، الشكل والدلالة، ط1*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
13. عبد الحكيم المالكي. (2006). *السرديات والقصة الليبية القصيرة، ط1*. ليبيا: مجلس الثقافة العام.
14. عبد الرحيم الكردى. (2006). *السرد فى الرواية العربية المعاصرة ط1*. ليبيا: مكتبة الآداب.

15. عبد الرحيم الكردي. (بلا تاريخ). السرد في الرواية العربية المعاصرة .
16. عبد الرحيم الكردي. (بلا تاريخ). السرد في الرواية العربية المعاصرة .
17. عبد القادر سالم. (2009). مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث، بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات. الجزائر: دار القصة.
18. عبد القادر شرشار. (2009). تحليل الخطاب السردى وقضايا النص. وهران: دار القدس العربي.
19. عبد الملك مرتاض. (1993). ألف ليلة وليلة، دراسات سيميائية تفكيكية لحكاية جمال بغداد. ديوان المطبوعات الجامعية.
20. عمر عيلان. (2008). ينظر: في مناهج تحليل الخطاب السردى. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
21. كنعان شلوميت ريمون تر حسن حمامة. (1995). التحليل القصصى للشعر المعاصر، ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة.
22. مجموعة من المؤلفين. (2010). معجم السرديات. تونس: دار محمد علي.
23. محمد بوعزة. (2000). تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم. الرباط: دار الأمان.
24. محمد بوعزة. (2001). تحليل النص السردى، ط1. الرباط المغرب: دار الأمان.
25. مصطفى صادق الرافعي. (1994). تاريخ آداب العرب، ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
26. ناهضة بشار. (2003). بنية السرد في القصص الصوفي المكونات والوظائف والتقنيات. دمشق: منشورات اتحاد كتاب العرب.
27. نعمان بوقرة. (2009). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1. عمان: دار عالم الكتب الحديث.
28. هيثم الحاج علي. (2007). الزمن النوعي وإشكالية النوع السردى . لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.
29. يمنى عيد. (2010). تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، ط3. بيروت : دار الفارابي.